

## الخدعة الاولى العظيمة

منذ بدء تاريخ الانسان شرع الشيطان يبذل محاولاته ليخدع جنسنا. فذاك الذي حرّض ساكني السماء على الثورة اراد ان يجعل سكان الارض يشتركون معه في حربه ضد حكم الله وسلطانه. لقد كان آدم وحواء في منتهى السعادة وهما يطيعان شريعة الله، وكانت هذه الحقيقة شهادة دائمة ضد الادعاء الذي اشاعه الشيطان في السماء، والقائل بأن شريعة الله ظالمة وصارمة وهي تتعارض مع خير خلائقه. وفضلا عن هذا فإن الشيطان ثار حسده وهو يرى ذلك البيت الجميل الذي قد أعد لذيّنك الزوجين البارين، فعقد العزم على اسقاطهما، حتى اذا فصل بينهما وبين الله واخضعهما لسلطانه يمكنه ان يمتلك الارض، وفيها يوطد مملكته، ومنها يقاوم حكم الله العلي.

ولو كان الشيطان قد اظهر نفسه على حقيقتها لطرد في الحال لان آدم وحواء كانا قد أنذرا بالخطر من هذا العدو الخطر، لكنّه كان يحيك مؤامراته في الظلام مخفيا نواياه ليتمم غرضه ويصل الى هدفه بطريقة فعالة. واذا اتخذ الحية وسيلة ومطية له، وكانت آنذاك مخلوقة ساحرة في منظرها، تقدم من حواء فقال: «أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة»؟ ( تكوين ٣: ١ ). ولو كفت حواء عن الدخول في جدال مع المجرب لسلمت منه ،ولكنها خاطرت بنفسها بمناقشته فسقطت فريسة مكايده. وهكذا ينهزم كثيرون. فهم يشكون ويجادلون

في مطالب الله وبدلا من اطاعة الاوامر الالهية يقبلون النظريات البشرية التي تختفي تحتها مكاييد الشيطان.

« فقالت المرأة للحية من ثمر الجنة نأكل. وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا. فقالت الحية للمرأة لن تموتا بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح عينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر » ( تكوين ٣: ٢ - ٥ ). لقد أعلن الشيطان انهما سيكونان كالله، اكثر حكمة وتأهلا لحالة وجود اسمى. وقد خضعت حواء للتجربة وبواسطة تأثيرها سقط آدم في الخيئة. قبل أقوال الحية ان الله لم يكن يعني ما قال. شكّا في خالفهما وتصورا انه يحد من حريتهما وانهما قد يحصلان على حكمة عظيمة ورفعة وسمو لو تعديا شريعته.

ولكن ما المعنى الذي اكتشفه آدم بعد سقوطه للقول : « يوم تأكل منه موتا تموت » ؟ هل وجده يعني انه سيدخل حالة وجود اسمى كما قد جعله الشيطان يعتقد ؟ فلو كان الامر كذلك لكان في التعدي والعصيان فائدة وغنم عظيمان ولتبرهن ان الشيطان محسن للجنس البشري ذو أياد بيض. لكنّ آدم لم يجد أن هذا هو معنى قول الله. وقد أعلن الرب لآدم انه لا بد ان يعود الى الارض التي منها أخذ قصاصا له على خطيئته. « لأنك تراب والى تراب تعود » ( تكوين ٣ : ١٩). وقد تبرهن صدق قول الشيطان « تنفتح اعينكما » بهذا المعنى فقط. فبعدها عصى آدم وحواء الله انفتحت اعينهما ليريا جهالتهم ويفطنا الى غبائهم . لقد عرفا الشر وذاقا مرارة ثمار العصيان.

وفي وسط جنة عدن كانت توجد شجرة الحياة التي في ثمارها قوة على اطالة العمر. فلو ظل آدم مطيعا لله لكان قد بقي ينعم بالوصول بكل حرية الى هذه الشجرة وكان يحيا الى الابد. ولكن عندما اخطأ حُرّم عليه الاكل من شجرة الحياة فصار عرضة للموت. ان قول الله : « انك تراب والى تراب تعود » يشير الى القضاء على الحياة قضاء مبرماً.

ان الخلود الذي كان الانسان قد وُعد به لقاء الطاعة اضاعه بعصيانه. ولم يكن آدم يستطيع ان ينقل الى ذريته شيئاً لم يكن هو يمتلكه، ولم يكن هنالك رجاء لجنسنا الساقط لولا ان الله جعل الخلود في متناول ايدينا اذ بذل ابنه لأجلنا. ففي حين « اجتاز الموت الى جميع الناس اذ أخطأ الجميع » فان المسيح « أنار الحياة والخلود بواسطة الانجيل » ( رومية ٥: ١٢؛ ٢ تيموثاوس ١: ١٠ ). ولا يمكن الحصول على الخلود الا بواسطة المسيح وحده. وقد قال يسوع: « الذي يؤمن بالابن له حياة ابدية. والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة » ( يوحنا ٣: ٣٦ ). ويمكن لكل انسان ان يحصل على هذه البركة التي لا تقدر بثمن اذا تم الشروط. كل « الذين بصبر في العمل الصالح يطلبون المجد والكرامة والبقاء » فسيحصلون على « الحياة الابدية » ( رومية ٢: ٧ ).

والشخص الوحيد الذي وعد آدم بالحياة مع العصيان هو المخادع العظيم. إن اعلان الحية لحواء في جنة عدن — « لن تموتا » — كان اول عظة القيت عن خلود النفس. لكنّ هذا الاعلان الذي يستند الى سلطان الشيطان لا سواه تردد صداه المنابر في كل العالم المسيحي وغالبية بني الانسان يقبلونه بالسرعة نفسها التي قبله بها ابوانا الاولان. وان حكم الله القائل : « النفس التي تخطئ هي تموت » ( حزقيال ١٨: ٢٠ ) صار يعني ان النفس التي تخطئ لن تموت بل تحيا الى الابد. ولا يسعنا الا ان ندهش من الولع الغريب الذي يجعل الناس سذجا جدا بالنسبة الى اقوال الشيطان وعديمي الايمان جدا في ما يختص بأقوال الله.

ولو سمح للانسان بعد سقوطه بالتناول من ثمر شجرة الحياة لكان يحيا الى الابد، وهكذا كانت الخطية تبقى خالدة الى الابد. لكنّ الكروبيم ولهيب السيف المتقلب حرسا « طريق شجرة الحياة » ( تكوين ٣: ٢٤ ). ولم يسمح لأي واحد من بني آدم بتجاوز ذلك السياج ليتناول من الثمرة الواهبة الحياة. ولذلك فلا خاطئ خالداً.

لكنّ الشيطان أمر ملائكته بعد السقوط ان يبذلوا جهدا خاصا في تلقين الناس عقيدة خلود النفس، واذ أغري الناس بقبول هذه الضلالة كان عليهم ان يجعلوهم يستنتجون ان الخاطئ سيحيا في شقاء ابدى. والآن فها سلطان الظلمة وهو يعمل عبر اعوانه يصور الله طاغية محبا للانتقام، ويعلن انه تعالى يطرح في اعماق الجحيم جميع الذين لا يرضونه ويجعلهم يحسون بشدة وطأة غضبه مدى اجيال الابد، وفيما هم يقاسون احوال العذاب الذي لا يوصف ويتلوون في النار الابدية فان خالقهم يشرف عليهم من عليائه بلذة ورضى وسرور.

## الشيطان يسيء تمثيل الله

وهكذا يخلع العدو الاعظم ( رئيس الشياطين ) صفاته على خالق الشر والمحسن اليهم. ان القسوة هي من صفات الشيطان. لكنّ الله محبة، وقد كان كل ما خلقه طاهرا ومقدسا وجميلا الى ان دخلت الخطيئة الى العالم بفعل العاصي الاول الاكبر. والشيطان نفسه هو العدو الذي يجرب الانسان ليرتكب الخطيئة، وحينئذ يهلكه لو استطاع ذلك، وعندما يتمكن من فريسته فهو يبتهج بسبب الهلاك الذي قد صنعه. ولو سمح له فهو سيأخذ جنسنا كله في شبكته. فلولا تدخل قدرة الله لما نجا ابن أو ابنة من اولاد آدم.

يحاول الشيطان اليوم ان ينتصر على الناس كما قد انتصر على أبونا من قبل بزعة ثقتهم بخالقهم ودفعهم الى الشك في حكمته في الحكم وفي عدالة شرائعه. ويصور الشيطان وأعوانه الله على نحو اسوأ حتى منهم هم انفسهم لكي يبرروا خبثهم وتمردهم. ويحاول المخادع العظيم ان يلقي قسوته المرعبة وتبعة شر صفاته على ابنا السماوي لكي يبدو هو كمن قد ظلّم ظلما صارخا عندما طُرد من السماء لأنه رفض الخضوع لمثل ذلك الحاكم الظالم. وهو يعرض أمام العالم الحرية التي يمكنهم ان ينعموا بها تحت سلطانه الهادئ، على نقيض العبودية التي تفرضها أوامر الرب الصارمة. وهكذا ينجح في خداع النفوس وابعادها من الولاء لله.

## تعليم شائع

وكم هو ممقوت لكل من يحس بالمحبة والرحمة، وحتى لشعورنا بالعدالة، اعتقادنا ان الاموات الاشرار سيعذبون بالنار والكبريت في لهيب الجحيم الى الابد، وانهم لأجل الخطايا التي ارتكبوها مدى حياتهم القصيرة على الارض سيقاسون احوال العذاب مدى اجيال أبدية الله. ومع ذلك فقد لُقن الناس هذه العقيدة التي انتشرت الى مدى بعيد ولا تزال مثبتة في عقائد العالم المسيحي. وقد قال احد دكاترة اللاهوت العلماء : « ان منظر عذابات الجحيم سيزيد من غبطة القديسين الى الابد. فعندما يرون غيرهم ممن لهم طبيعتهم نفسها وولدوا في ظروف شبيهة بظروفهم وقد غمرهم ذلك البؤس، أما هم فقد امتازوا عن اولئك التعساء، فهذا سيجعلهم يحسون بعظمة سعادتهم ». وقد نطق آخر بهذا القول : « عندما يُنفذ حكم الطرد والرفض على آنية الغضب فان دخان عذابهم سيصعد الى الابد أمام عيون أواني الرحمة الذين بدلا من مشاطرة اولئك الاشقياء في شقائهم سيقولون : آمين، هلوليا ! سبحاً للرب ! ».

أين يوجد هذا التعليم على صفحات كلمة الله ؟ وهل المفتدون في السماء سيكونون مجردين من عواطف الرأفة والرحمة وحتى المشاعر البشرية التي يشترك فيها جميع بني الانسان ؟ وهل هذه ستُستبدل بعدم اكرات الرواقيين او قسوة المتوحشين ؟ كلا، أبدا، فهذا ليس ما يعلم به كتاب الله. فأولئك الذين يقدمون الآراء المعبر عنها في الاقتباسات السابقة قد يكونون قوما علماء ومخلصين لكنهم مخدوعون بمغالطات الشيطان. فهو يجعلهم يسيئون فهم التعبيرات القوية الواردة في الكتاب اذ يصيغ لغة الكتاب بصيغة المرارة والخبث التي هي من خصائصه ولكن لا صلة لها بخالقنا، فهو الذي قال : « حي أنا يقول السيد الرب أنني لا أسر بموت الشرير بل بأن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا. ارجعوا ارجعوا عن طرقكم الرديئة فلماذا تموتون » ( حزقيال ٣٣ : ١١ ).

أي كسب يناله الله لو أننا سلمنا بأنه يسر بمشاهدة خلائقه يعذبون عذابا ابديا، وأنه ينتعش وهو يسمع آهات خلائقه وصرخاتهم ولعناتهم وهم يتعذبون

محبوسين في نار الجحيم؟ وهل يمكن أن تكون هذه الصرخات المفزعة نغمات موسيقية في أذني المحبة السرمدية؟ وقد قيل ان ايقاع الشقاء الابدى على العالم الشرير سيبرهن على كراهة الله للخطيئة كشر مدمر لسلام الكون ونظامه. يا لهذا من تجديف مخيف! كما لو أن كراهية الله للخطيئة هي سبب دوامها. لأنه بناء على تعاليم هؤلاء اللاهوتيين فالعذابات التي لا تنقطع بلا رجاء في الرحمة مستقبلا تصيب اولئك الضحايا الاشقياء بالجنون، واذ يعبرون عن اھتياجهم وغضبهم باللعنات والتجديف يزيدون على مدى أجيال الابد من أحمال ذنوبهم اثقالا فوق أثقالي. ان مجد الله لا يتحقق بالاستمرار في تكويم الخطايا مدى اجيال الابد.

## شر ينجم عن الهرطقة

ليس في مقدور العقل البشري ان يقدر الشر العظيم الذي حدث بسبب ضلالة العذاب الابدى. ان دين الكتاب المقدس، المفعم بالحب والصلاح والفائض بالرحمة، يكتنفه ظلام الخرافات ويحاط بالرعب. وعندما نتأمل في أي من الالوان الخادعة التي صور بها الشيطان صفات الله فهل نستغرب اذا كان الناس يخشون من الخالق الرحيم ويرهبون جانبه ويرتعبون منه بل يبغضونه؟ إن الآراء المرعبة عن الله، التي تُفهم من التعاليم التي تلقى من على المنابر في كل انحاء العالم، قد خلقت آلاف بل ملايين من المتشككين والملحدین.

ان نظرية العذاب الابدى هي احدى العقائد الكاذبة التي منها تتكون خمر رجس بابل التي تجعل كل الامم تشرب منها ( رؤيا ١٤ : ٨ ؛ ١٧ : ٢ ). ان كون خدام المسيح قد قبلوا هذه الضلالة وجاهروا بها من المنابر المقدسة هو سر يعسر فهمه. لقد اخذوها عن روما كما قد أخذوا السبب الزائف. نحن لا ننكر ان الذين قد علّموا بها هم عظماء واخيار، لكنّ النور الخاص بهذا الموضوع لم يصل اليهم كما قد وصل الينا. لقد كانوا مسؤولين عن النور الذي أشرق في أيامهم من دون سواه، أما نحن فمؤولون عن النور الذي ينير في أيامنا. فاذا

ارتدنا عن شهادة كلمة الله وقبلنا التعاليم الكاذبة لأن آباءنا علّموا بها فاننا نقع تحت الدينونة التي نطق بها الرب ضد بابل اذ نحن نشرب من خمر رجاساتها.

ينساق فريق كبير ممن تثيرهم وتنفرهم عقيدة العذاب الابدي الى الضلالة المضادة لها. فهم يرون ان الكتاب المقدس يصور الله ككائن محب رحيم، ولذلك فلا يمكنهم ان يعتقدوا ان الله سيحبس خلائقه في نيران الجحيم المتقدة الى الابد. ولكن لكونهم يعتقدون ان النفس خالدة بالطبع، فهم لا يرون بديلا سوى ان يستنتجوا ان كل بني الانسان سيخلصون اخيرا. وكثيرون يعتبرون ان التهديدات المذكورة في الكتاب فُصد بها اخافة الناس لتسوقهم الى الطاعة ولم يكن المقصود تنفيذها حرفيا. وهكذا يمكن للخاطيء ان يعيش في المسرات النفسانية مزدريا بمطالب الله ومع ذلك ينتظر ان يتلقاه الله في النهاية بالرضى والقبول. مثل هذا التعليم الذي يجترئ على رحمة الله ويتجاهل عدالته في الوقت نفسه يسر القلب البشري ويشجع الاشرار على السير في طريق الاثم.

ولكي نبرهن كيف يحرف المعتقدون عقيدة الخلاص العام كلمة الله لتأييد عقائدهم المهلكة لنفوسهم يلزمنا فقط ان نقتبس اقوالهم. ففي حفل تأبين شاب غير متدين كان قد قُتل في حادث في التو والساعة اختار احد معتنقي عقيدة الخلاص العام هذه الآية الواردة عن داود : « تعزى عن أمنون حيث أنه مات » ( ٢ صموئيل ١٣ : ٣٩ ).

قال الخطيب : « كثيرا ما أسأل هذا السؤال : ما هو مصير اولئك الذين يتركون العالم وهم في خطاياهم ويموتون ربما وهم في حالة السكر ومخمورون، ويموتون وايديهم ملوثة بدماء ضحايا جرائمهم، ولم يغسلوا ثيابهم، أو يموتون كما قد مات هذا الشاب الذي لم يقدم اعترافا ولا مرة واحدة او تمتع باختبار ديني ؟ اننا مكتفون بما ورد في الكتاب فجوابه فيه حل للمشكلة الخطيرة. لقد كان أمنون شريرا جدا ولم يتب عن خطايه وكان قد سكر، وهو في حالة السكر قُتل. وكان داود نبيا لله، ولا بد أن يكون قد عرف ما اذا كان سيصيب أمنون خير أو شر

في العالم الآتي. فماذا كانت خلجات قلبه ؟ « وكان داود يتوق الى الخروج الى أبشالوم لأنه تعزى عن أمنون حيث أنه مات » ( ٢ صموئيل ١٣ : ٣٩ ).

« وما هي النتيجة التي نخرج بها من هذا الكلام ؟ الا نفهم من هذا أن العذاب اللانهائي لم يكن ضمن عقيدته الدينية ؟ وهكذا نحن ندرك وهنا نكتشف حجة ظافرة لتأييد نظرية الطهارة والسلام النهائيين الشاملين، تلك النظرية الاعظم سرورا ونورا وتسامحا وحبنا واحسانا. لقد تعزى حيث أن ابنه مات. ولماذا هذا ؟ لأنه أمكنه بعين النبوة ان يرى ما سيحدث فيما بعد، يرى المستقبل المجيد، ويرى ذلك الابن بعيدا عن متناول كل التجارب ومتحررا من العبودية ومطهرا من مفاسد الخطيئة، وبعدها صار مقدسا ومستنيرا بالكفاية سُمح له بالانضمام الى محفل الارواح الصاعدة المتهلة. كان عزاءه الوحيد انه اذ نُقل ابنه الحبيب من حال الخطيئة والالام تُسكب اسمى أشواق الروح القدس على نفسه المكتنفة بالظلام حيث ينكشف لعقله حكمة السماء وفرط السرور العذب الذي للمحبة الخالدة، وهكذا يؤهل بطبيعته المقدسة ليتمتع براحة الميراث السماوي وعشرة الابرار.

« ونحن بهذه الافكار نريد أن يُفهم عنا أننا نعتقد أن خلاص السماء لا يتوقف على أي شيء نفعله في هذه الحياة، لا على تغيير حالي في القلب ولا على عقيدة حالية او اعتراف حالي بالدين ».

وهكذا نحن نسمع احد المدعوين خدام المسيح يردد الاكذوبة نفسها التي نطقت بها الحية في عدن حين قالت : « لن تموتا »، « يوم تأكلان منه تفتح أعينكما وتكونان كالله ». وهو يعلن ان انجس الخطاة، سواء كان قاتلا أو لصا او زانيا، سيكون بعد الموت مستعدا للدخول الى السعادة الابدية.

ولكن من اين يستنبط هذا المحرف لأقوال الله استنتاجاته هذه ؟ من عبارة واحدة نطق بها داود معبرا بها عن خضوعه لتصاريف العناية : « كان داود يتوق الى الخروج الى أبشالوم لانه تعزى عن أمنون حيث انه مات ». فيما ان شدة

حزنه كانت قد خفت بمرور الوقت اتجهت افكاره من ابنه الميت الى ابنه الحي الذي قد نفى نفسه خوفاً من قصاص جريمته العادل. وهذا هو البرهان على ان امنون، الذي كان قد ارتكب الفحشاء مع اخته والذي كان مخموراً، نقل حال موته الى مواطن الغبطة والسعادة حيث يتطهر ويؤهل لمعاشرة الملائكة الاطهار ! هذه خرافة لذيدة حقا كفيلة بأن تشيع القلب البشري. وهذه هي عقيدة الشيطان نفسها، وهي تنجز عمله بكل نجاح. فهل نستغرب انه مع وجود هذا التعليم يكثر الشر ويتفاقم ؟

ان الطريق الذي يسلك فيه هذا المعلم المحترق الكاذب هو مثال لما يفعله كثيرون غيره. فبعض اقوال الكتاب تُفصل عن قرينتها التي في حالات كثيرة تبرهن على ان المعنى هو على عكس ما قد فُسر به تماما، ومثل هذه الفصول المفككة تُحرّف وتستخدم كبرهان لاثبات تعاليم لا أساس لها في كلمة الله. ان الشهادة المقتبسة على أن أمنون الذي كان سكرانا هو في السماء انما هي اشارة تناقض على خط مستقيم التصريح الكتابي الايجابي القائل بأن السكيرين لا يرثون ملكوت الله ( ١ كورنثوس ٦: ١٠ ). وبهذه الطريقة يحوّل المتشككون وغير المؤمنين والملحدون حق الله الى كذب. وقد انخدع كثيرون بمغالطاتهم وهزّزوا ليناموا في مهد الطمأنينة الشهوانية.

فلو كان حقا ان ارواح كثيرين من الناس تنتقل الى السماء مباشرة في ساعة الموت لكان لنا ان نشتهي الموت ونفضله على الحياة. لقد ساق هذا الاعتقاد كثيرين من الناس الى القضاء على حياتهم بالانتحار. فعندما تغمرهم الضيقات والمتاعب والارتباك والخيبة فانه يبدو امرا سهلا ان يفصموا ريب الحياة الواهنة ويصعدوا الى السعادة في دنيا الابد.

## برهان ناصع

لقد قدم الله في كتابه البرهان الناصع الحاسم على انه لا بد ان يعاقب كل من يتعدون شريعته. فاولئك الذين يخدعون انفسهم بالقول ان الله أرحم من أن

ينفذ عدالته في الخاطئ عليهم فقط ان ينظروا الى صليب جلجثة. ان موت ابن الله الذي بلا عيب هو شهادة صريحة على ان «أجرة الخطيئة هي موت»، وان كل انتهاك لشريعة الله لا بد ان يوقع بالخطئ الجزاء العادل. ان المسيح الذي بلا خطيئة صار خطيئة لأجل الانسان. لقد حمل جرم الخطيئة واحتجاب وجه الآب عنه حتى لقد انسحق قلبه وازهقت روحه. وقد قُدمت كل هذه التضحية لكي يُفتدى الخطاة. ولم تكن هنالك طريقة اخرى يتحرر بها الانسان من قصاص الخطيئة. فكل نفس ترفض الاستفادة من الكفارة التي قد أعدت بهذه الكلفة العظيمة لا بد من ان يتحمل صاحبها بنفسه جريمة التعدي وقصاصه.

لنتأمل مليا في ما يعلم به الكتاب ايضا عن الأشرار وغير التائبين الذين يحاول الذين يعتقدون بالخلاص لجميع الناس اخيرا أن يجعلوهم في السماء كالملائكة القديسين المغبوطين.

« أنا أعطي العطشان من ينبوع ماء الحياة مجانا » ( رؤيا ٢١: ٦ ). هذا الوعد مقدم الى العطاش وحدهم. ولا يمكن ان يُعطى الا لمن يحسون بحاجتهم الى ماء الحياة ويطلبونه حتى لو خسروا كل ما عداه. « من يغلب يرث كل شيء وأكون له إلهاً وهو يكون لي ابناً » ( رؤيا ٢١: ٧ ). هنا ايضا يحدد الرب الشروط. فلكي يرث كل شيء علينا اولا ان نقاوم الخطيئة وننتصر عليها.

## اعلان صفات الله

ثم ان الرب يعلن على لسان اشعيا النبي قائلا: «قولوا للصديق خير»، «ويل للشرير شر لان مجازاة يديه تُعمل به» (اشعيا ٣: ١٠ و ١١). والحكيم يقول: «الخطئ وان عمل شرا مئة مرة وطالت أيامه الا اني أعلم انه يكون خير للمتقين الله الذين يخافون قدامه. ولا يكون خير للشرير» (جامعة ٨: ١٢ و ١٣). وبولس يشهد بأن الخطئ يذخر لنفسه «غضبا في يوم الغضب واستعلان

دينونة الله العادلة الذي سيجازي كل واحد حسب اعماله»، « شدة وضيق على كل نفس انسان يفعل الشر » (رومية ٢: ٥ و ٦ و ٩).

« كل زانٍ أو نجس أو طماع، الذي هو عابد للاوثان، ليس له ميراث في ملكوت المسيح والله » ( افسس ٥: ٥ ). « اتبعوا السلام مع الجميع والقداسة التي بدونها لن يرى احد الرب » ( عبرانيين ١٢: ١٤ ). « طوبى للذين يصنعون وصاياهم لكي يكون سلطانهم على شجرة الحياة ويدخلوا من الابواب الى المدينة. لأن خارجا الكلاب والسحرة والزناة والقتلة وعبدة الأوثان وكل من يحب ويصنع كذبا » ( رؤيا ٢٢: ١٤ و ١٥ ).

لقد أعطى الله الناس اعلانا عن صفاته وطريقته في معاملة الخطيئة : «الرب الرب اله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الاحسان والوفاء حافظ الاحسان الى ألوف. غافر الاثم والمعصية والخطيئة ولكنه لن يبرئ ابراء» (خروج ٣٤: ٦ و ٧). «يهلك جميع الاشرار». «أما الاشرار فيبادون جميعا. عقب الاشرار ينقطع» (مزمور ١٤٥: ٢٠؛ ٣٧: ٣٨). ان قوة حكم الله وسلطانه سيستخدمان في قمع كل عصيان، ومع ذلك فكل مظاهر عدالة الله في توقيع الجزاء متوافقة تماما مع صفات الله كالاله الرحيم والمحسن والطويل الناة.

لا يرغب الله ارادة اي انسان او اختياره ولا يُسر بطاعة العبيد. فهو يرغب في أن الذين هم صنعة يديه يحبونه لأنه يستحق ان يُحب. وهو يريدهم أن يطيعوه لأن عندهم تقديرا ذكيا واعيا لحكمته وعدله واحسانه وحبه. وكل من يدركون هذه الصفات سيحبونه لأن إعجابهم بصفاته يجذبهم نحوه.

ان مبادئ الرفق والرحمة والمحبة التي علم بها مخلصنا وقدام عنها أمثالا وكان هو مثالنا فيها انما هي نسخة عن ارادة الله وصفاته. لقد أعلن المسيح انه لم يعلم الا ما قبله من أبيه. ومبادئ حكم الله متوافقة تمام مع وصية المسيح القائلة: «احبوا اعدائكم». والله يوقع احكام عدله على الاشرار لأجل خير المسكونة، بل حتى لأجل خير الذين يوقع عليهم احكامه. فهو يريد أن

يسعدهم اذا كان ذلك لا يتعارض مع شرائع حكمه وعدالة صفاته. وهو يحيطهم بدلائل محبته ويمنحهم معرفة شريعته ويسير وراءهم ليقدم اليهم هبات رحمته، ولكنهم يزدرون بمحبته ويستخفون بشريعته ويحتقرون رحمته. ومع انهم دائما يتقبلون هباته فانهم يهينون الواهب. وهم يبغضون الله لأنهم يعلمون انه يمقت خطاياهم. والرب يحتمل فسادهم ويصبر على ذلك طويلا. لكن الساعة الحاسمة ستجيء اخيرا عندما يتقرر مصيرهم. فهل سيقبل اولئك العصاة ويبقيهم الى جانبه؟ وهل يرغمهم على عمل ارادته ؟

ان الذين اختاروا الشيطان قائدا لهم فسيطر عليهم بقوته هم غير مستعدين للمثول في حضرة الله. فالكبرياء والمخاتلة والفجور والخلاعة والقسوة قد ثبتت في اخلاقهم. فهل يستطيعون دخول السماء ليعيشوا الى الابد مع الذين قد ازدروا بهم وابغضوهم وهم على الارض؟ ان الكذاب لا يمكنه ان يستسيغ الصدق او يرضى به، والوداعة لن تشبع نفس من يعظم نفسه او يسلك بالكبرياء، والطهارة غير مقبولة لدى الانسان الفاسد، والمحبة النزيهة لا تبدو جذابة للرجل الاناني. أي نبع للتمتع يمكن أن تقدمه السماء الى اولئك الناس المشغولين في مصالحهم الارضية الانانية ؟

هل يمكن للذين قضا حياتهم في التمرد على الله ان ينتقلوا فجأة الى السماء ويشاهدوا الحالة السامية، حالة الكمال المقدسة الدائمة هناك – حيث كل نفس ممتلئة محبة وكل وجه مشرق بانوار الفرح، وحيث أنغام الموسيقى العذبة المفرحة تُسمع في تمجيد الله والحمل، وحيث أنهار النور الدائمة الجريان تفيض على المفتدين من وجه الجالس على العرش – فهل يمكن للذين قلوبهم مفعمة بالكراهية لله وللحق والقداسة ان يندمجوا بين جموع السماويين ويشاركوهم في ترديد اناشيد الحمد ؟ وهل يستطيعون احتمال مجد الله والخروف ؟ كلا مطلقا، فلقد قدمت اليهم سنو الاختبار لعلمهم يشكلون اخلاقهم لتكون كأخلاق السماويين. ولكنهم لم يدربوا عقولهم قط على حب الطهارة ولا تعلموا لغة السماء. والآن قد مضى الوقت. ان حياة العصيان لله التي عاشوها لم تؤهلهم للسماء. ان طهارتها ووقداستها وسلامها تعذبهم، ومجد

الله هو نار آكلة لهم. انهم يتوقون للهروب من ذلك المكان المقدس. يرحبون بالهلاك ليستطيعوا الاختباء من وجه ذلك الذي قد مات لكي يفتديهم. فمصير الاشرار يقرره اختيارهم نفسه. انهم يطردون انفسهم من السماء بمحض اختيارهم وهذا عدل من الله ورحمة.

## رحمة الله

على غرار مياه الطوفان ستعلن نيران ذلك اليوم العظيم حكم الله بأن الاشرار لا يمكن اصلاحهم. فلا يوجد عندهم ميلا الى الخضوع لسلطان الله. لقد تدرت ارادتهم على التمرد والثورة، وعندما تنقضي الحياة سيكون قد مضى الوقت لتحويل مجرى تفكيرهم نحو الاتجاه المعاكس، سيكون قد مضى الوقت للرجوع من العصيان الى الطاعة ومن الكراهية الى المحبة.

ان الله اذ ابقى على حياة قايين القاتل قدم الى العالم مثالا لما كان يمكن ان ينتج لو سُمح للخاطيء ان يعيش ليظل سائرا في طريق الاثم الجامح. وبتأثير تعليم قايين ومثاله انسقت جماهير من نسله في طريق الخطيئة حتى ان « شر الانسان قد كثر في الارض »، « وكل تصور افكار قلبه انما هو شرير كل يوم » « فسدت الارض امام الله وامتلات الارض ظلما » ( تكوين ٦ : ٥ و ١١ ).

ان الله رحمة منه بالعالم محا كل سكانه الاشرار في ايام نوح. ورحمة منه ايضا أهلك سكان سدوم الفاسدين. وبسبب قوة الشيطان الخادعة يظفر فعلة الاثم بالعطف والاعجاب، ولذلك فهم على الدوام يطوِّحون بالآخرين في طريق العصيان والتمرد. هذا ما حدث في ايام قايين ونوح وفي ايام ابراهيم ولوط، وهذا ما يحدث في ايامنا هذه. والله رحمة منه بالعالم سيهلك من يرفضون رحمته.

## اجرة الخطيئة

« اجرة الخطيئة هي موت واما هبة الله فهي حياة ابدية بالمسيح يسوع ربنا» ( رومية ٦: ٢٣ ). ففي حين ان الحياة هي ميراث الابرار فالموت هو نصيب الاشرار. لقد أعلن موسى قائلاً لاسرائيل : « قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير والموت والشر » ( تثنية ٣٠: ١٥ ). ان الموت المشار اليه في هذه الآية ليس هو الموت الذي حكم به على آدم لان كل بني الانسان يقاسون قصاص تعديه، ولكنه « الموت الثاني » الذي وضع على نقيض الحياة الأبدية.

وقد كان من نتائج خطيئة آدم ان الموت اجتاز الى الجنس البشري كله. فالجميع ينحدرون الى الهاوية على السواء. وعبر تدبير الخلاص سيخرج الجميع من قبورهم. « سوف تكون قيامة للاموات الابرار والاثمة », « لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيحيا الجميع » ( اعمال ٢٤: ٢٥؛ ١ كورنثوس ١٥: ٢٢ ). ولكن سيكون هنالك فرق بين الذين سيخرجون من قبورهم من الفريقين : « يسمع جميع الذين في القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات الى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات الى قيامة الدينونة » (يوحنا ٥: ٢٨ و ٢٩). فالذين « حسبوا اهلا » لقيامه الحياة هم « مباركون ومقدسون », « هؤلاء ليس للموت الثاني سلطان عليهم » ( رؤيا ٢٠: ٦ ). اما الذين لم يحصلوا على الغفران بواسطة التوبة والايمان فلا بد ان ينالوا قصاص تعدياتهم : « اجرة الخطيئة ». وهم يقاسون قصاصا يختلف في مدته وشدته « حسب اعمالهم », ولكن اخيرا سينتهي امرهم بالموت الثاني. وحيث انه يستحيل على الله في حالة التوافق بين العدل والرحمة ان يخلص الشرير من خطاياهم فسيحرمه من الوجود الذي قد خسره بسبب عصيانه والذي قد برهن هو على عدم استحقاؤه اياه. وقد كتب كاتب ملهم يقول : «بعد قليل لا يكون الشرير. تطلع في مكانه فلا يكون» ( مزمور ٣٧: ١٠ ) وهنالك آخر يعلن قائلاً : « ويكونون كأنهم لم يكونوا » ( عوبديا ١٦ ). فاذا يكونون مجللين بالعار يهبطون يائسين الى اعماق النسيان الابدي.

## نهاية الخطيئة

وهكذا تنتهي الخطيئة بكل ما نجم عنها من ويل وهلاك ودمار. يقول كاتب المزامير : « اهلكت الشرير. محوت اسمهم الى الدهر والابد. العدو تم خرابه الى الابد » ( مزمور ٩: ٥ و ٦ ). ويوحنا في رؤياه اذ نظر مستشفى المصير الابدى سمع تسبيحة شكر لا يعكرها أو يفسدها أي تنافر في الاصوات. فكل خليقة في السماء والارض سُمعت وهي تنسب المجد الى الله ( رؤيا ٥: ١٣ ). وحينئذ لن تكون هناك نفوس هالكة لتجدف على الله وهي تتلوى من هول العذاب الذي لا ينتهي، ولن تكون في الجحيم ارواح شقية تختلط صرخاتها بأعاني المخلصين.

وعلى أساس ضلالة خلود النفس الطبيعي ترتكز عقيدة الوعي عند الموت، وهي عقيدة مناقضة لتعاليم الكتاب وما يمليه العقل ومشاعرنا البشرية، مثل عقيدة العذاب الابدى. وطبقا للاعتقاد الشائع يكون المغتدون في السماء على علم بكل ما يحدث على الارض، وعلى الخصوص ما له علاقة بحياة اصدقائهم الذين قد تركوهم خلفهم. ولكن كيف يمكن ان يكون نبع سعادة وفرح للاموات كونهم يعلمون بضيقات الاحياء ومتاعبهم، وكونهم يشاهدون الخطايا التي يرتكبها احباؤهم ويرونهم يقاسون الآلام والاحزان والخيبة والعذاب في حياتهم؟ وما مقدار ما يتمتع به في السماء من سعادة اولئك الذين كانوا يحومون حول اصدقائهم على الارض؟ كم هو اعتقاد ممقوت ان يظن الانسان انه حالما تنطلق النسمة من الجسد تُحبس نَفْسُ الخاطيء في نيران الجحيم ! وما أعمق هوة العذاب التي ينحدر اليها اولئك الذين يرون اصدقاءهم ينحدرون الى الهاوية وهم غير مستعدين ليدخلوا الى أبدية الويل والخطيئة ! ان كثيرين قد ساقهم هذا الفكر المدمر الى الجنون.

ولكن ما الذي يقوله الكتاب عن هذه الامور؟ أعلن داود أن الانسان يكون عديم الشعور عند موته اذ يقول : « تخرج روحه فيعود الى ترابه في ذلك اليوم نفسه تهلك افكاره » ( مزمور ١٤٦ : ٤ ). وهذا هو ما يشهد به ايضا سليمان فيقول : « لأن الاحياء يعلمون انهم سيموتون أما الموتى فلا يعلمون شيئا »،

« ومحبتهم وبغضتهم وحسدتهم هلكت منذ زمان ولا نصيب لهم بعد الى الابد في كل ما عمل تحت الشمس »، « ليس من عمل ولا اختراع ولا معرفة ولا حكمة في الهاوية التي أنت ذاهب اليها » ( جامعة ٩ : ٥ و ٦ و ١٠ ).

عندما أضيفت الى حياة الملك حزقيا خمس عشرة سنة اجابة لصلاته قدم هذا الملك الشاكر ضريبة حمد وتسبيح لله لأجل رحمته العظيمة. وفي أغنيته هذه يخبرنا عن سبب ذلك الفرح فيقول : « لأن الهاوية لا تحمدك الموت لا يسبحك. لا يرجو الهابطون الى الجب امانتك. الحي الحي هو يحمدك كما انا اليوم » ( اشعيا ٣٨ : ١٨ و ١٩ ). ان علم اللاهوت المألوف يصور الابرار الموتى كمن هم في السماء وقد دخلوا الى السعادة وهم يسبحون الله بألسنة خالدة، ولكن حزقيا لم يمكنه ان يرى في الموت مثل هذا الانتظار المجيد. وشهادة المرزم تتفق مع كلامه اذ تقول : « لأنه ليس في الموت ذكرك. في الهاوية من يحمدك »، « ليس الاموات يسبحون الرب ولا من ينحدر الى أرض السكوت » ( مزمو ٦ : ٥؛ ١١٥ : ١٧ ).

## صوت الرسل

وفي يوم الخميس أعلن بطرس عن رئيس الآباء داود : « انه مات ودُفن وقبره عندنا حتى هذا اليوم »، « لأن داود لم يصعد الى السموات » ( أعمال ٢ : ٢٩ و ٣٤ ). ان حقيقة كون داود باقٍ في القبر الى يوم القيامة هي برهان على كون الابرار لا يذهبون الى السماء عند الموت. انما فقط بواسطة القيامة وبفضل حقيقة ان المسيح قد قام يمكن لداود ان يجلس اخيرا عن يمين الله. وقد قال بولس : « لأنه ان كان الموتى لا يقومون فلا يكون المسيح قد قام. وان لم يكن المسيح قد قام فباطل ايمانكم. انتم بعد في خطاياكم. اذاً الذين رقدوا في المسيح ايضا هلكوا » ( ١ كورنثوس ١٥ : ١٦ – ١٨ ). فاذا كان الابرار قد ذهبوا تواء الى السماء لمدة اربعة آلاف سنة حال موتهم فكيف أمكن لبولس ان يقول انه اذا لم تكن قيامة « فالذين رقدوا في المسيح ايضا هلكوا » ؟ اذاً فلم تكن ثمة ضرورة للقيامة.

ان تندل الشهيد وهو يشير الى حالة الموتى أعلن قائلا : « انني اعترف  
جهارا انني غير مقتنع انهم الآن في ملء المجد الذي يوجد فيه المسيح او  
المجد الذي فيه الملائكة المختارون. وليس هو من مواد ايماني. لأنه ان كان الامر  
كذلك فأنا لا أرى الا ان الكرازة بقيامة الجسد امر عبث » (٣٥٤).

انها حقيقة لا تنكر ان رجاء الخلود في السعادة عند الموت قد  
ادى الى تفشي اهمال عقيدة القيامة في الكتاب. وقد أبدى الدكتور آدم كلارك  
ملاحظة حول هذا الانحراف فقال : « يبدو ان عقيدة القيامة كان المسيحيون  
الاولون يظنون أن لها قيمة وأهمية أعظم مما هي الآن ! وكيف هذا ؟ لقد كان  
الرسل يشددون عليها باستمرار وكانوا يحضون شعب الله على الاجتهاد والطاعة  
والفرح عن طريقها. لكنّ تابعيهم في هذه الايام قلما يذكرونها ! هكذا كرز الرسل  
وهكذا آمن المسيحيون الاولون، وهكذا نحن نكرز وهكذا يؤمن سامعوننا. ولا توجد  
في الكتاب عقيدة زاد التشديد عليها اكثر من هذه، ولا يوجد تعليم في نظام  
كرازتنا الحاضر يعامل باهمال اكثر من هذا التعليم ! » (٣٥٥).

وقد ظل الحال هكذا الى ان كاد حق القيامة يخفى ويغيب عن أنظار العالم  
المسيحي. ان كاتبنا دينيا مشهورا وهو يعلق على قول بولس الوارد في  
١ تسالونيكي ٤: ١٣ - ١٨ قال : « لكل اغراض العزاء العملية نجد ان عقيدة خلود  
الابرار المبارك تتخذ بالنسبة اليها مكان عقيدة مجيء الرب الثاني المشكوك فيها.  
ففي موتنا يجيء الرب لأجلنا. وهذا ما يجب ان ننتظره ونسهر لأجله.  
لقد انتقل الاموات الى المجد من قبل. وهم لا ينتظرون البوق لأجل محاكمتهم  
وسعادتهم ». »

## كلمات عزاء وتشجيع

لكنّ يسوع اذ كان موشكا ان يترك تلاميذه لم يقل لهم انهم سيأتون اليه سريعا. فقد قال لهم: « انا امضي لاعد لكم مكانا. وان مضيت وأعددت لكم مكانا آتي ايضا وأخذكم اليّ » ( يوحنا ١٤ : ٢ و ٣ ). ثم ان بولس يخبرنا فوق ذلك ان « الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والاموات في المسيح سيقومون اولاً. ثم نحن الاحياء الباقين سنخطف جميعا معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء وهكذا نكون كل حين مع الرب ». ثم يضيف قائلاً : « لذلك عزوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام » ( ١ تسالونيكي ٤ : ١٦ - ١٨ ). ما أبعد الفرق الشاسع بين اقوال العزاء هذه وبين تلك الاقوال السالفة الذكر التي نطق بها ذلك الخادم الذي كان يعتنق عقيدة الخلاص العام ! ان ذلك الخادم عزى الاصدقاء المحزونين بأن اكد لهم انه مهما كان الشخص الذي مات خاطئاً وشريراً فعندما اسلم حياته في هذا العالم قبل من السماء واستقبلته الملائكة. لقد وجه بولس انظار اخوته الى مجيء الرب في المستقبل عندما تتحطم قيود القبر ويقوم «الاموات في المسيح» للحياة الابدية.

ولكن قبل دخول الناس منازل السعداء لا بد من فحص قضاياهم ولا بد من ان تمر اخلاقهم واعمالهم أمام عين الله الفاحصة. وسيدان الجميع كما هو مكتوب في الاسفار وسيجازى كل واحد بحسب اعماله. هذه الدينونة لا تتم عند الموت. لاحظوا ما يقوله بولس : « لانه أقام يوماً هو فيه مزمع ان يدين المسكونة بالعدل برجل قد عينه مقدما للجميع ايماناً اذ اقامه من الاموات » (أعمال ١٧ : ٣١). هنا يبين الرسول بكل وضوح انه قد تعين وقت، كان مستقبلاً حينئذ لدينونة العالم.

ويهوذا يشير الى ذلك الوقت نفسه اذ يقول : « والملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم الى دينونة اليوم العظيم بقيود ابدية تحت الظلام ». ثم يقتبس اقوال اخنوخ فيقول : « هوذا قد جاء الرب في ربوات قدسيه

ليصنع دينونة على الجميع « ( يهوذا ٦ و ١٤ و ١٥ ). ويوحنا يعلن انه قد رأى « الاموات كبارا وصغارا واقفين أمام الله وانفتحت اسفار ... ودين الاموات مما هو مكتوب في الاسفار » ( رؤيا ٢٠ : ١٢ ).

ولكن اذا كان الاموات قد قاموا وهم يتمتعون بسعادة السماء او يتلوون من أهوال نيران الجحيم فما الداعي لاقامة الدينونة في المستقبل ؟ ان تعاليم كلمة الله عن هذه الامور المهمة ليست غامضة ولا متناقضة، ويمكن للاذهان العادية ان تفهمها. ولكن اي عقل مخلص يمكنه ان يرى حكمة او عدلا في النظرية المألوفة ؟ فهل الابرار بعد فحص قضاياهم في الدينونة سيحصلون على هذا الثناء القائل : « نعم ايتها العبد الصالح والامين ... ادخل الى فرح سيدك » في الوقت الذي يكونون فيه ساكنين في محضره ربما منذ اجيال طويلة ؟ وهل الاشرار يستدعون من موضع العذاب ليسمعوا الحكم عليهم من ديان كل الارض اذ يقول لهم : « اذهبوا عني يا ملاعين الى النار الابدية »؟ ( متى ٢٥ : ٢١ و ٤١ ). يا لها من سخرية جسيمة ! ويا لها من تهمة معيبة ضد حكمة الله وعدالته!

ان نظرية خلود النفس كانت احدى تلك العقائد المغلوطة التي اذ اخذتها روما عن الوثنية ادخلتها في دين العالم المسيحي. لقد اعتبرها مارتن لوثر ضمن « الخرافات الفظيعة التي تكوّن جزءا من كومة احكام روما البابوية » (٢٥٦). واذ كان ذلك المصلح يعلق على ما قاله سليمان في سفر الجامعة من ان الاموات لا يعلمون شيئا قال : « يوجد مكان آخر يبرهن ان الموتى « لا شعور عندهم » ثم قال : « لا يوجد هناك واجب او علم او معرفة او حكمة. ان سليمان يحكم بأن الأموات نيام ولا يحسون بشيء ابدا. لان الاموات يرقدون هناك غير حاسبين حسابا للايام او السنين، ولكن عندما يوقظون سيبدو وكأنهم لم يناموا أكثر من لحظة واحدة » (٢٥٧).

وليس في أي موضع في الكتب المقدسة تصريح بأن الابرار يذهبون الى ثوابهم او الاشرار الى عقابهم عند الموت. فلا احد من الآباء او الانبياء ترك مثل

ذلك اليقين. ولا المسيح او رسله قدموا اي تصريح في هذا الشأن. والكتاب يعلمنا بكل وضوح ان الاموات لا يذهبون توأ الى السماء. وهو يصورهم على انهم راقدون الى يوم القيامة. ( ١ تسالونيكي ٤: ١٤؛ أيوب ١٤: ١٠ - ١٢ ). ففي اليوم نفسه الذي فيه ينقسم جبل الفضة وينسحق كوز الذهب ( جامعة ١٢ : ٦ ) تهلك افكار الانسان. واولئك الذين ينزلون الى الهاوية هم في حالة السكوت. انهم لم يعودوا يعرفون شيئاً مما يعمل تحت الشمس ( ايوب ١٤ : ٢١ ). ما أعظمها من راحة مباركة للابرار المتعبين ! فالزمن طال او قصر يشبهه في تقديرهم لحظة عابرة، انهم ينامون ثم يستيقظون على صوت بوق الله الى خلود مجيد : « فانه سيبوق فيقام الاموات عديمي فساد ونحن نتغير ... ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد ولبس هذا المائت عدم موت فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة ابتلع الموت الى غلبة » ( ١ كورنثوس ١٥ : ٥٢ - ٥٤ ). فاذ يُدعون ليستيقظوا من نومهم العميق يبدأون يفكرون من حيث كفوا عن التفكير. لقد كانت آخر الاحاسيس هي شوكة الموت، وآخر فكر كان هو انهم قد سقطوا تحت سلطان الهاوية. فعندما يخرجون من القبر فأول فكر مبهج لهم سيرن صداه في صيحة الانتصار القائلة : « اين شوكتك يا موت اين غلبتك يا هاوية » ؟ ( ١ كورنثوس ١٥ : ٥٥ ) .